

## المدرسة النحوية الأندلسية وموقفها من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف

The Andalusian Grammatical School  
and Its Position on Citing the Noble Hadith

الحاج بعاش \*

جامعة خميس مليانة، (الجزائر)

e.baach@univ-dbk.m.dz

تاريخ الارسال 2025/03/07 تاريخ القبول 2025/05/07 تاريخ النشر 2025-05-27

## ملخص:

لما شرع نخاة العربية القدماء في وضع الأسس الأولى لقواعد النحو العربي، أجمعوا على جمع المادة اللغوية التي تدعم أحكامهم وتأكد حججهم، فاهتدوا إلى مصادر لغوية تكون موضع الاستشهاد على صحة القواعد النحوية التي وضعوها، فتجسد ذلك في ثلاثة مصادر لغوية هي: القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكلام من يُعتدُّ بفصاحته من العرب. فحدّدوا إطارا مكانيا وآخر زمانيا للقبائل العربية التي يؤخذ عنها الكلام الفصيح، ومن بين مصادر الاستشهاد المذكورة، سيكون محور بحثنا منصبا على الحديث النبوي الشريف، مع اختيار المدرسة النحوية الأندلسية أنموذجا للدراسة، ويكون التركيز على موقف نُحاتها من قضية الاستشهاد به. مع رصد الحجج التي يرونها مناسبة والمؤيدة لمواقفهم.

الكلمات المفتاحية: الحديث النبوي الشريف، الاستشهاد النحوي، النحو الأندلسي، المدارس النحوية، القاعدة النحوية.

## Abstract:

When the ancient Arab grammarians began to lay the first foundations of Arabic grammar rules, they agreed on gathering linguistic material that would support their judgments and confirm their arguments. They identified linguistic sources that would serve as references for the correctness of the grammatical rules they established. This was embodied in three linguistic sources: the Quran, the noble prophetic hadith, and the speech of those Arabs whose eloquence is acknowledged. They defined a spatial and temporal framework for the Arab tribes from whom eloquent speech is taken.

Among the mentioned sources of citation, our research will focus on the noble prophetic hadith, choosing the Andalusian grammatical school as a model for study, with an emphasis on the stance of its grammarians on the issue of citing it. We will also observe the arguments they consider appropriate for their positions.

**Keywords:** The noble prophetic hadith, grammatical citation, , Andalusian grammar, grammatical schools, grammatical rule.

## 1. مقدمة:

قبل الشروع في الولوج إلى موضوعنا الموسوم بـ المدرسة النحوية الأندلسية وموقفها من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف. فلا بد من الإشارة إلى طرح التساؤلات التالية: هل توجد مدرسة نحوية أندلسية تتمتع بخصائص تميزها عن غيرها من المدارس، كالبصرة والكوفة وبغداد؟

وإن كان الأمر كذلك، فهل اكتفت بتقليد المدارس التي سبقتها؟ أم أنها جدّدت في بعض القضايا النحوية؟

وهل كان النحويون المنضوون تحت لوائها يستشهدون بالحديث النبوي الشريف مثل استشهادهم بالقرآن الكريم، والكلام الفصيح المسموع عن العرب؟

وهل كانت مواقفهم من قضية الاستشهاد بالحديث متوافقة أم متباينة؟ وما الحجج التي اعتمدها في ذلك؟

## 1- مفهوم الشاهد:

## 1-1- مفهومه لغة:

ذكره ابن فارس في "باب الشين والهاء وما يثلاثهما من معجم مقاييس اللغة" بقوله: "والدّال أصل يدلّ على حضور وعلم، وإعلام... والشاهد: ، والشاهد: الملّك"<sup>1</sup>.

أمّا في المعجم الوسيط فقد دلّت لفظة الشاهد على معانٍ مختلفة، تجسّدت في مَنْ يؤدي الشّهادة، والدليل، وشبه مُحاط يخرج مع المولود<sup>2</sup>.

يتّضح مما جاء في المعجمين أنّ لفظة الشاهد استعملت بمعانٍ مختلفة، تراوحت بين معنى اللسان والملّك، وتأدية الشّهادة، والدليل، والمحاط الذي يخرج مع المولود حين ولادته.

نلاحظ بأنّ استعمال لفظة "الشاهد" في المعجم القديم يختلف عن استعمالها في المعجم الحديث، وهذا دليل على تطور معاني الألفاظ العربية عبر الزمن، فضلاً عن الثراء المعجمي الذي تتميز به اللغة العربية عن غيرها من اللغات بكثرة استعمال الدلالات المختلفة للفظ الواحد.

## 1-2- مفهومه اصطلاحاً:

يختلف معنى الشاهد بمفهومه الاصطلاحي عن مفهومه اللغوي، إذ يراد به "ما يُؤتى به من الكلام العربي الفصيح ليشهد بصحة نسبة لفظ أو صيغة أو عبارة أو دلالة إلى العربية"<sup>3</sup>.

أما الاستشهاد فهو الاحتجاج للرأي أو المذهب، أي: أن يأتي النحوي لما يقول بشاهد شعري أو نثري من القول المعتمد الموثق ليؤيده به ويدعمه<sup>4</sup>. وعَرَّفَ محمد عيد الاستشهاد بقوله: "والاستشهاد على هذا هو: الإخبار بما هو قاطع في الأدلة على القاعدة من شعر أو نثر"<sup>5</sup>.

يظهر بأن لفظي الشاهد والاستشهاد متقاربان في المعنى، لأنهما تدوران في مجال واحد وهو مجال استعمال الشاهد قصد الاستشهاد به في قضية من قضايا النحو، ليكون دليلاً على القاعدة النحوية وسنداً لها.

## 2- حقيقة وجود المدرسة الأندلسية:

استعملت كلمة "المدرسة" بمعناها الحقيقي قديماً لدى العرب في العصر العباسي، فكانت المدرسة النظامية، والمدرسة المستنصرية من بين ما أسس المسلمون في حضارتهم الزاهية.

أما حديثاً فقد أصبح استعمال كلمة المدرسة بمعنى المذهب أو الطريقة، استعمال استمدّه الباحثون والنقاد العرب من الآداب والثقافة الغربية نتيجة احتكاكهم بها، حيث كانت للأوروبيين توجهات أدبية وفكرية أطلقوا عليها تسمية المدارس، فكان من ذلك المدرسة الكلاسيكية، والمدرسة الرومانسية، والمدرسة الواقعية وغيرها.

وعليه، فقد اهتمدى الباحثون العرب المحدثون إلى استعمال مصطلح "المدرسة" اقتفاء أثر الغربيين، فكان من ذلك مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد، ومدرسة الأندلس التي خصصناها بهذا البحث، محاولين إثبات وجودها استناداً إلى أقوال العلماء، ومنهم ابن خلدون الذي أقرّ بوجودها "حينما قال في معرض حديثه عن علم العربية: "والتأليف في هذا الفن كثيرة، وطرقُ التعليم مختلفةٌ بين البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين"<sup>6</sup>. يتضح من قول ابن خلدون أن النحويين الأندلسيين يشكلون مدرسة نحوية، لا تقل أهمية عن باقي المدارس، على غرار الكوفة والبصرة وبغداد.

أما الباحثون المحدثون فقد اقتفى أغلبهم أثر ابن خلدون في الإقرار بوجود المدرسة الأندلسية، منهم: شوقي ضيف الذي خصّص في كتابه المدارس النحوية فصلاً كاملاً نعت به المدرسة الأندلسية<sup>7</sup>.

وعليه فإن المدرسة الأندلسية موجودة في عرف علماء العربية، قائمة بذاتها، ومتميزة بشخصيتها، ومستقلة عن باقي المدارس النحوية التي سبقتها، وذلك لما أحدثته المنتسبون إليها من إضافات للدرس النحوي، سواء أكانت متعلقة بالمنهج أم بالأفكار، أو من ردود على من سبقهم من علماء المدارس الأخرى، فخالقوهم في الآراء النحوية والصرفية واللغوية، وأقاموا الحجج والبراهين. وخير دليل على ذلك ما جاء به ابن مضاء القرطبي الذي أعلن ثورة على مناهج نخاة المشرق في كتابه الردّ على النحاة، حيث فنّد بعض قواعدهم، منها: العامل النحوي، والعلل<sup>8</sup>، وكذا ابن مالك الذي خالف من سبق من النحويين المشاركة في طريقة تقديمه للأبواب النحوية، حيث صاغها في قالب

شعري جذاب أطلق عليها تسمية "الألفية"، ونظرا لتمييزها، هرع عدد كبير من التّحويين المشاركة والأندلسيين إلى شرحها وتحليلها.

### 3- مكانة التّحويين الأندلسيين بين علماء المشرق:

لقد ذاع صيت بعض التّحويين الأندلسيين بين نظرائهم المشاركة، فتبوؤوا منازل مرموقة بينهم، وذلك بفضل ما جادت به قرائحهم من أفكار اتسمت بطابع الجدة والابتكار، فمنهم من هاجر إلى بلاد المشرق ليستزيد من تلقي علوم اللغة على يد علماءها، ثم عاد إلى الأندلس، حاملا معه ما تعلّمه منهم من كنوز العلم والمعرفة، ومنهم من هاجر واستقر بالمشرق، ومنهم بقي بالأندلس ولم يغادرها.

### 3-1- التّحويون الذين هاجروا إلى بلاد المشرق ولم يعودوا إلى الأندلس:

#### - ابن مالك الطائي الجياني (600هـ-672هـ):

هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي، تلقى العلم على أساتذة من الأندلس مثل ثابت بن محمد بن يوسف بن خيار الكلاعي الغرناطي، وجلس إلى أبي علي الشّلوّبين، ثم انتقل إلى المشرق طلبا للعلم، فكانت وجهته الشّام، فمكث بدمشق مدة متلقيا العلم على علمائها، ثم رحل إلى حلب، ليستزيد أكثر. ثم عاد إليها، وأثناء مكوثه بالشّام جلس إلى العديد من العلماء، منهم: أبو صادق الحسن بن الصباح، وأبو الحسن السخاوي، وابن يعيش الحلبي، ولم تقتصر مسيرته العلمية على طلب العلم بل تعدّتها إلى إلقاء الدروس في الجامع الأموي بدمشق، وكانت أكثر دروسه في التّحو، كما عين إماما للمدرسة العادلية، من تلاميذه بهاء الدين بن التّحاس، وشمس الدين البعلي وغيرهما من الأعلام. وقد خلّد ابن مالك مصنفات كثيرة في شتى علوم اللغة، من أشهرها: شرح التّسهيل، وألفية ابن مالك في التّحو والصّرف: المسماة بـ الخلاصة في التّحو.

وعليه فقد تبوأ ابن مالك مكانة علمية سامية بين العلماء، فشهدوا له برفعة قدره في العربية وفروعها وبخاصة علم التّحو، ومن بين من أشاد بمكانته، العالم الكبير أبو حيان الأندلسي الذي قال عنه: "إنّ ابن مالك نظّم في هذا العلم كثيرا ونثّر، وجمع باعتكافه ومراجعته غرائب، حوت مصنفاته نوادر وعجائب، وإنّ من عرف ما في تسهيله لا يكون تحت السماء من هو أنحى منه"<sup>9</sup>.

إنّ إشادة أبي حيان بما أنجزه ابن مالك لخير دليل على علو مكانته بين العلماء، لأنّها صدرت من عالم متضلّع في علوم اللغة.

#### - أبو حيّان الأندلسي (ت. 745هـ):

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان التّفزي الأندلسي الجيّاني الغرناطي المعروف بأبي حيان الأندلسي، تتلمذ في الأندلس على يد علماء كبار، منهم عبد الله الأنصاري الشّاطبي، وابن أبي الأحوص القرشي

الفهري البلسني، وأبو جعفر بن الطباع الذي كان سببا في خروجه من الأندلس، وكان كثير الترحال، فقبل أن يجلّ ببلاد المشرق، مرّ على بلاد المغرب العربي واجتمع بكثير من علماءها، حيث مكث بسبّعة، ثم بجاية، ثم تونس. ثم انتقل إلى مصر وأخذ عن ابن النحاس الحلبي، وبعدها إلى الشام، ثم عاد إلى مصر واستقر بها إلى أن وافته المنية. خاض أبو حيان الأندلسي في شتى العلوم وبرع فيها، ومنها علم الحديث، والتفسير، والفقه، واللغة والنحو، ومن أشهر مؤلفاته التذييل والتكميل، وتفسير البحر المحيط.

وقد أثنى علماء المشرق كثيرا على أبي حيان، ومنهم السيوطي في كتابه البلغة حيث قال: "نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه، وقال عنه الصفدي: كان عارفا باللغة، وأما النحو والتعريف فهو الإمام المطلق فيهما، خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يدركه أحد في أقطار الأرض فيهما غيره، وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس"<sup>10</sup>.

### 3-2- التّحويون الذين هاجروا إلى بلاد المشرق ثم عادوا إلى الأندلس:

#### - جودي بن عثمان الموروري (ت. 198هـ):

يُعد أول نحويّ أندلسيّ فتح باب الهجرة إلى بلاد المشرق العربي، فأخذ النحو على يد الكوفيين، وكان من تلامذة الفراء والكسائي، وأول من أدخل كتب الكوفيين إلى الأندلس، وأول من صنّف في النحو، ودّرّسه لطلابه<sup>11</sup>.

#### - محمد بن موسى بن هاشم، المعروف بـ الأفشنيق (ت. 307هـ):

من مواليد قرطبة، كان نحويا وأديبا، ويُعد من الأوائل الذين هاجروا إلى المشرق، دخل مصر والتقى بأبي جعفر الدينوريّ وأخذ عنه كتاب سيبويه، عاد إلى الأندلس، وقيل أنّه أول من أدخل معه كتاب سيبويه، ومن مؤلفاته كتاب طبقات الكتاب بالأندلس، وشواهد الحكم<sup>12</sup>.

#### - محمد بن يحيى المهلي الرّباحي الجيّاني (ت. 353هـ):

قيل عنه أنه كانت له دراية بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام، رحل إلى المشرق واتصل بأبي جعفر النّحاس بمصر، وأخذ عنه كتاب سيبويه رواية، ثم عاد إلى الأندلس واستقر بقرطبة متفرغا لقراءته على الطلاب، شارحا ومفسرا، ومحلا عباراته، وقد قاده إلى ذلك دقة نظره ومنطقه وقدرته على الاستنباط.

لم تقتصر هجرة التّحويين الأندلسيين إلى المشرق العربي على من ذكرناهم في هذا البحث، بل هناك عدد كثير منهم لا يتسع المقام لذكرهم.

### 4- التّحويون الأندلسيون بين الاعتراض والقبول:

#### 4-1- الفئة المعترضة على الاستشهاد بالحديث الشريف:

لقد اختلف علماء المدرسة الأندلسية في قضية الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، فمنهم من اعترض عليه، ومنهم أجازه وتوسع في استعماله

فأما الفئة الأولى فقد اقتفت أثر علماء العربية القدماء الذين كان استشهادهم بالحديث النبوي الشريف يكاد يكون منعزلاً، وبخاصة علماء البصرة، وعلماء الكوفة، إذ قيل: إن سيبويه استشهد بعشرة أحاديث<sup>13</sup> مقارنة بما استشهد به من الشعر، وفي ذلك يقول الجرمي: "نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً"<sup>14</sup>

وأول من يمثل هذه الفئة ابن الضائع (ت. 680هـ)؛ لأنه "أول من أثار قضية الاستشهاد بالحديث الشريف في النحو العربي، فدعا إلى منع ذلك حينما قال في معرض رده على ابن الطراوة: "تبين في أصول الفقه أنه يجوز نقل حديث النبي صلى الله عليه وسلم بالمعنى، وعليه حذاق العلماء، فهذا هو السبب عندي في ترك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد في إثبات اللغة بالحديث"<sup>15</sup>.

وقد حذا أبو حيان الأندلسي (ت. 745هـ) حذو شيخه ابن الضائع في الاعتراض على الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، ومن مظاهر اعتراضه على ذلك، إنكاره على ابن مالك توسعه في ذلك، إذ قال في شرح التسهيل: "قد لهج هذا المصنف في تصانيفه بالاستدلال، بما وقع في الحديث في إثبات القواعد الكلية في لسان العرب بما روي فيه، ما رأيت أحداً من المتقدمين ولا المتأخرين سلك هذه الطريقة غير هذا الرجل"<sup>16</sup>.

ودعم أبو حيان موقفه الرافض للاستشهاد بالحديث الشريف مستنداً إلى ذكر أسماء كبار علماء النحو من بصريين وكوفيين بقوله: إن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب، كأبي عمرو وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين، والكسائي والفرّاء وعلي بن مبارك الأحمر وهشام الضرير، من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك"<sup>17</sup>.

#### 4-1-1- حُجج المعترضين على الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

تتلخص حجّة المعترضين على الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في أمرين:

الأمر الأول: يعتقدون بأن الحديث روي بالمعنى وليس باللفظ، "لذلك اختلفت العبارات التي تؤدي الحديث الواحد، مما جعلهم يُبعدونها عن مجال الاستشهاد"<sup>18</sup>، وفي ذلك يقول أبو حيان: "إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أنّ ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ لو وثقوا بذلك، لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية"<sup>19</sup>.

وقد تأثرت هذه الفئة من النحويين "ببصري القرن الثالث الذين كانوا لا يحتجون بالحديث النبوي الشريف ولا يتخذونه إماماً لشواهدهم وأمثلةهم"<sup>20</sup>؛

الأمر الثاني: يرون "بأن كثيرا من رواة الحديث كانوا غير عرب بالطبع ولا تعلموا لسان العرب بصناعة النحو فوق اللحن في نقلهم وهم لا يعلمون ذلك. ووقع في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب"<sup>21</sup>.

#### 4-1-2 الرد على المعترضين على الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

سبق وأن أشرنا بأن أبا حيان الأندلسي ذكر مجموعة من كبار العلماء لم يستشهدوا بالحديث الشريف، وممن ذكر سيبويه، لكننا إذا أمعنا النظر في كتاب سيبويه، نجده قد أدرج في بعض أبوابه النحوية أجزاء مسئلة من الأحاديث النبوية من دون أن يشر إليها، ونسبها إلى كلام العرب، ويظهر ذلك فيما رواه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر: ( إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ )<sup>22</sup>. قال سيبويه: "وما جاء مؤنثا صفة تقع للمذكر والمؤنث: هذا غلامٌ يَفْعَةٌ، وجاريةٌ يَفْعَةٌ، وهذا رجلٌ رُبْعَةٌ، وامرأةٌ رُبْعَةٌ، وامرأةٌ رُبْعَةٌ، فأما ما جاء من المؤنث لا يقع إلا للمذكر وصفًا، فكأنه في الأصل صفةٌ لسلعةٍ أو نفسٍ، كما قال: " لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مسلمة "<sup>23</sup>.

يستخلص مما سبق أنّ سيبويه استشهد بالحديث النبوي في كتابه من دون أن ينسب ما قال إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم، والمشكلة في ذلك أن التحوين الذين جاؤوا بعده اقتفوا أثره مُدَّعين عدم جواز الاستشهاد بالحديث.

وجاء الرد فيما ذكره محمد الخضر حسين بأن تدوين الحديث وقع في صدر الأول قبل فساد اللغة العربية، وحين كان كلام أولئك - على تقدير تبديلهم - يسوغ الاحتجاج به"<sup>24</sup>، مما يعني أن من أخذوا الحديث سماعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا من الصحابة، فهم المشهود لهم والعدل، والصدق، والأمانة، فضلا عن فصاحة اللسان. فكيف لا يُستشهد بما سمعوه عن النبي، ويُستشهد بالكلام الأعراب الذين لا تتوافر فيهم هذه السمات.

والواقع أنّ أصل كتابة الحديث وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. ومن كان يكتب الحديث عبد الله ابن عمر، وعمر بن العاص، ولهذا كان أكثر جمعا للحديث من أبي هريرة. أما تدوينه في كتب فقد وقع بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز"<sup>25</sup>. فهؤلاء كلهم ثقة.

#### 4-2- الفئحة المجيزة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

لم يقتف بعض علماء المدرسة الأندلسية أثر من امتنعوا عن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، بل أجازوه وتوسعوا فيه، وأبرزهم ابن مالك الذي بلغ من الاستشهاد بالحديث مبلغا لم يسبقه إليه أحد، وتبعه في ذلك ابن الطيب الفاسي، إذ يقول: "لا نعلم أحدا من علماء العربية خالف في هذه المسألة إلا ما أبداه أبو حيان في شرح التسهيل، وأبو الحسن الضائع في شرح الجمل"<sup>26</sup>، وأردف ابن الطيب الفاسي في ذكر عدد من علماء الأندلس توسعوا في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف قائلا: "هي مصادر ظاهرة، بل كتب الأندلسيين وغيرهم من النحاة مشحونة بذلك من نكير، فقد استدل ابن الحاج في شرح المقرّب بأحاديث في مواضع كثيرة، والشريف الصقلي

والشريف الغرناطي في شرحيهما لكتاب سيبويه، وابنُ الحُبَّاز في شرح ألفية ابن معطٍ، وأبو علي الشَّلَوَّين في كثير من مسائله<sup>27</sup>.

#### 4-2-1 حُجج المجيزين الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف:

تعتمد هذه الفئة على الحجج التالية:

أولاً: "أن اليقين غير مطلوب في هذا الباب وإنما المطلوب غلبة الظن في نقل مفردات الألفاظ وقوانين الإعراب، والذي يغلب على الظن أن الحديث لم يُبدل.

ثانياً: أن الخلاف في جواز النقل بالمعنى، إنما هو فيما لم يدون ولم يكتب، وأما ما دون وكتب فلا يتصور فيه التبديل والتغيير.

ثالثاً: إن كثيراً من الأحاديث قد دُون في الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية حين كان الكلام كله مما يصح الاحتجاج به<sup>28</sup>.

#### 5- نماذج لنحويين أندلسيين استشهدوا بالحديث النبوي:

##### 5-1- استشهاد أبي القاسم السهيلي المالقي (508هـ - 581م):

لم يتوان السهيلي في الاستشهاد بالحديث الشريف، مخالفاً بعض الأندلسيين الذين اقتفوا أثر من سبقهم من البصريين والكوفيين، ومن بين ما استشهد به، ما أورده في "فصل سمّاه في أقسام النعت" من كتابه نتائج الفكر، قوله: "وعندي قسم خامس وهو الأسماء الجميلة، وهو ما دلّ كل واحد منها على معان لا معنى مفرد، كقولك: عظيم ومجيد وكريم. . . فإنّ العظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات المدح، والتمجيد كذلك إنما هو في معنى الزيادة في الشرف على غيره، واستشهد بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ)<sup>29</sup>.

استشهد السهيلي بالحديث الشريف، لكونه يضم لفظي "حَمِيدٌ وَمَجِيدٌ" وهما من الأسماء الجميلة، وتدللان على صفات المدح والتمجيد.

##### 5-2- استشهاد ابن خروف الإشبيلي: (525هـ - 609هـ)

قال ابن الضائع: "إنّ أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة هو النحوي ابن خروف الأندلسي"<sup>30</sup>.

ومن مواطن استشهاد ابن خروف بالحديث الشريف، ما أورده في باب "حَتَّى" الخافضة للاسم، قوله: قلت: هذا الكلام يدلّ على أنّ الخافضة لا يدخل ما بعدها فيما قبلها، والنّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "كلّ شيء بقضاء وقدر حَتَّى العَجْزِ والكَيْسِ - بالخفض. "31.

يظهر الشّاهد النّحوي في الحديث الشريف في وجود "حَتَّى" الجارة لكلمة العَجْزِ، وجاء استعمالها في هذا المقام لتمييزها من حَتَّى العاطفة التي يدخل ما بعدها في حكم ما قبلها.

### 5 - 3 - استشهاد ابن عصفور الإشبيلي: (597هـ - 669هـ)

يعد ابن عصفور من النّحويين الأندلسيين الذين آثروا الاستشهاد بالحديث الشريف، ويظهر ذلك جليا في مواطن مختلفة من كتابه الموسوم بـ شرح الجمل للزجاجي، نذكر منها ما جاء في باب جمع المكسّر والمقصود به جمع التّكسير، قوله: "وإن كان بالألف واللام، جُمع على أَفَاعِلٍ، نحو: الأَفْضَلُ والأَفْضَلُ، والأَكْبَرُ والأَكْبَرُ"، واستشهد بالحديث الشريف: "أَلَا أُتَبِّعُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوْطِقُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ"32.

تمثّل الشّاهد في الحديث الشريف في بناء "أَحَاسِنَ"، الذي جاء على وزن "أَفَاعِلٍ" وهو من صيغ منتهى الجموع التي تنتمي إلى جموع الكثرة، وتصنف في جمع التّكسير.

### 5 - 4 - استشهاد ابن مالك الطائي الجبالي: (600هـ - 672هـ):

سبق التّطرق إلى ذكره في معرض الحديث عن النّحويين الذين هاجروا إلى المشرق واستقروا هناك، أما فيما يتعلّق باستشهاده بالحديث الشريف، فقد عُرف عنه أنّه أكثر النّحويين مَنْ استشهد به، ويظهر ذلك في قول أبي حيان الأندلسي: "قد أكثر هذا المصنّف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيت أحدا من المتقدّمين والمتأخّرين سلك هذه الطريقة غيره"33.

ومن نماذج استشهاد ما ورد في كتابه شرح التّسهيل من باب الأحرف النّاصبة الاسم الرّافعة الخبر، قوله: قال: صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوَّرُونَ"34.

لجأ ابن مالك إلى الاستشهاد بهذا الحديث، للتّدليل على حذف اسم "إِنَّ" إذا كان ضمير شأن، والتّقدير، "إنّه مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ المصوِّرون". أي أنّ اسم إنّ ضمير شأن محذوف جوازا؛ لأنّ معناه مفهوم من السياق، والخبر: "المصوِّرون" مرفوع وعلامة رفعه الواو؛ لأنّه جمع مذكر سالم.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث نُوجز النّتائج المتوصل إليها فيما يأتي:

- ترك بعض النحويين الأندلس وطنهم، وهاجروا إلى المشرق العربي طلباً للعلم واستزادة في المعرفة، فنالوا - بفضل صبرهم واجتهادهم - المنازل العلمية الرفيعة بين نظرائهم من المشرق، مما جعلهم محطّ إشادة وثناء.
- كان تأثير المدرسة الأندلسية بالمدارس النحوية التي سبقتها إلى الظهور واضحاً، لكن ذلك لم يمنعها من التفرد بخصائص ومميزات جعلتها تتمتع بشخصيتها المستقلة.
- التوسع في الحديث الشريف ميزة عُرف بها النحوي الأندلسي، وقد ظهر ذلك لدى أشهر النحويين هناك، وبخاصة ابن مالك .
- كانت حجج الأندلسيين في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف مقنعة، وكان ردّهم على خصومهم مفحماً.

#### الهوامش:

- 1 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ - 1979م، 221/3.
- 2 - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ - 2004م، ص497.
- 3 - محمد حسن بن جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع والدلالة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص51.
- 4 - محمد سمير نجيب اللّبيدي، معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ - 1985م، ص119.
- 5 - محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، علم الكتب، القاهرة، 1988م، ص85.
- 6 - عبد القادر رحيم الهيتي، الخصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط2، 1993، ص47-48.
- 7 - ينظر شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط7، 1992م، ص288.
- 8 - السيّد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين دراسة - تحليل - تقويم، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1405هـ - 1984م، ص431.
- 9 - ابن مالك، شرح التّسهيل، تح: عبد الرحمان السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع والإعلان، حيزة، ط1، 1410هـ - 1990م، 13/1.
- 10 - أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، 45/1.
- 11 - ينظر شوقي ضيف، المدارس النحوية، 289.
- 12 - ينظر السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط2، 1399هـ - 1979م، 1/252.
- 13 - المرجع نفسه، ص269.
- 14 - البغدادي، خزنة الأدب ولبّ أبواب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ - 1997م، 17/1.
- 15 - عبد القادر رحيم الهيتي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، خلال القرن السابع الهجري، ص161.
- 16 - المرجع السابق نفسه والصفحة ذاتها.
- 17 - محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، مكتب التاريخ الإسلامي، دمشق، ط2، 1380هـ - 1960م، ص168.
- 18 - خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه، مطابع مقهوي، الكويت، 1393هـ - 1974م، ص62.
- 19 - السيوطي، الاقتراح في أصول النّحو، ضبطه وعلق عليه عبد الحكيم عطية، دار البيروني، ط2، 1427هـ - 2006م، ص44.
- 20 - شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، 1992م، ص19.
- 21 - خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النّحو في كتاب سيبويه، ص63.

- 22 - البخاري، صحيح البخاري، تعليق السَّهَارَنُفُوري، والسَّيْنَدِي، البُشَيْرِي، كراتشي - باكستان، 1437هـ - 2016 م، 1432/2
- 23 - سيبويه، الكتاب، 237/3.
- 24 - محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها،
- 25 - محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، ص 172.
- 26 - ابن الطَّيْب الفاسي، فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، تح: محمود فجال، دار البحوث والدراسات الإسلامية، دبي، ط2، 1423هـ - 2002م، ص 74.
- 27 - يحيى عبد الرؤوف جبر، الشاهد اللغوي، ص 269.
- 28 - خديجة الحديثي، الشاهد وأصول النَّحو في كتاب سيبويه، ص 62.
- 29 - السَّهِيلِي، نتائج الفكر في النَّحو، تح: عادل أحمد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1412هـ - 1992م، ص 161.
- 30 - محمد خليفة الدَّعَّاع، المختار من شرحي ابن خروف والصَّفَّار لكتاب سيبويه، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1996م، ص 145.
- 31 - ابن خروف، شرح جمل الزجاجي، تح: سلوى محمد عمر عرب، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1419هـ، 492/1..
- 32 - ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، إشراف إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م، 137/3.
- 33 - ابن الطيب الفاسي فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، ص 77.
- 34 - ابن مالك، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، 13/2.

#### قائمة المراجع:

- 1 - القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 2 - الحديث النبوي الشريف
- 3 - البخاري، صحيح البخاري، تعليق السَّهَارَنُفُوري، والسَّيْنَدِي، البُشَيْرِي، كراتشي - باكستان، 1437هـ - 2016 م.
- 4 - البغدادي، خزانة الأدب ولبُّ أبواب لسان العرب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ - 1997م.
- 5 - خديجة الحديثي الشاهد وأصول النَّحو في كتاب سيبويه، مطابع مقهوي، الكويت، 1393هـ - 1974م.
- 6 - ابن خروف، شرح جمل الزجاجي، تح: سلوى محمد عمر عرب، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1419هـ.
- 7 - سعيد الأفغاني، من تاريخ النَّحو، دار الفكر، د.ت.
- 8 - السَّهِيلِي، نتائج الفكر في النَّحو، تح: عادل أحمد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1412هـ - 1992م.
- 9 - السَّيْد رزق الطويل، الخلاف بين النحويين دراسة - تحليل - تقويم، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، 1405هـ - 1984م.
- 10 - السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، ضبطه وعلق عليه عبد الحكيم عطية، دار البيروني، ط2، 1427هـ - 2006م.
- 11 - شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، مصر، ط7، 1992م.
- 12 - ابن الطيب الفاسي فيض نشر الانشراح من روض طي الاقتراح، تح: محمود فجال، دار البحوث والدراسات الإسلامية، دبي، ط2، 1423هـ - 2002م.

- 13- عبد القادر رحيم الهبتي، الخصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي. ، ط2، 1993م.
- 14- ابن عصفور، شرح جمل الزجّاجي، إشراف إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1419هـ- 1998م .
- 15- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ- 1979م،
- 16- ابن مالك، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمان السيد، ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، جيزة، ط1، 1410هـ- 1990م.
- 17- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ- 2004م.
- 18- محمد حسن بن جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة الواقع والدلالة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- 19- محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، مكتب التاريخ الإسلامي، دمشق، ط2، 1380هـ- 1960م.
- 20- محمد خليفة الدّنّاع، المختار من شرحي ابن خروف والصفار لكتاب سيبويه، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1996م.
- 21- محمد سمير نجيب اللبّدي، معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405هـ- 1985م.
- 22- محمد عيد، الاستشهاد والاحتجاج باللغة، رواية اللغة والاحتجاج بها في ضوء علم اللغة الحديث، علم الكتب، القاهرة، 1988م.
- 23- مصطفىاوي عمّاري، الشاهد النّحوي مصادره وأهميته في الدرس النحوي العربي، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد:
- 24- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، د.ت.
- 25- يحيى عبد الرّؤوف جبر، الشاهد اللغوي، مجلة التّجّاح للأبحاث، المجلد الثاني العدد السادس، 1992م.